١٠٩

مؤسسة دار الحكمة للثقافة والعلوم الإسلامية

مركز مدرك للتنمية والدراسات الإسلامية

الحسين منهج الحياة

الشيخ عباس لفتة الزيداوي

1445هـ - 2024م

الحسين منهج الحياة

الإمام الحسين (عليه السلام) ليس مجرد شخصية تاريخية، بل منهج حياة متكامل يجسد قيم العدل، والإصلاح، والتضحية. ثورته في كربلاء لم تكن مجرد مواجهة سياسية، بل رسالة خالدة تهدف إلى إحياء القيم الإسلامية، ورفض الظلم والطغيان. استشهاده (عليه السلام) رسم طريقًا للإنسانية في مواجهة الاستبداد، وهو نبراسٌ لكل من يسعى للحق والكرامة. يهدف هذا البحث إلى استكشاف دروس النهضة الحسينية وكيف يمكن أن تكون منهجًا للحياة في كل زمان ومكان.

الإهداء

إلى كُل من تعلق قلبه بحب سيد الشهداء 'ع' وشارك في نصرة ثورة الطف قلباً وقالباً وازداد معيناً من ضياء تلك الواقعة بكل جوانبها وآثارها من عبرة وعبرة وتطبيق محتواها على أرض الواقع.

المقدمة:

إن الأقلام مهما كانت لها السعة الواسعة في أن تلم بالكتابة على واقعة الطف جميع جزئياتها المتعلقة برفض الحسين ((عليه السلام)) لحكومة يزيد، عليه لعائن الله شخصاً وحاكماً لما كان الإمام يرى فيه من عدم الصلاحية لقيادة الأمة وليس راعياً مناسباً لتحمل أعباء المسؤولية هذا من الناحية السياسية أما من الناحية الشرعية فمثل شخصية يزيد هي شخصية منبوذة فاسقة خارجة عن تعاليم الإسلام ناهيك عن النصوص التي تؤكد على أن الخلافة والحكومة من اختصاص أهل البيت (عليهم السلام) وعلى هذا كان الإمام الحسين" (عليه السلام) ينظر إلى الأمور بواقع الإصلاح من جانب ومن جانب آخر الحفاظ على بيضة الإسلام من هكذا راعي يتولى مقاليد الناس فيزرع الفساد والانحلال في المجتمع فإذا ابتليت الأمة براع مثل يزيد فعلى الإسلام السلام فأراد روحي له الفداء أن ينظم حياة الناس من خلال صرخته المدوية يزيد اللاعب بالقرود والمعاقر بالكلاب وشارب الخمر مثلي لا يبايع مثله من هنا بدأت تتبلور فكرة الثورة ضد الظلم والاستعباد وحتى ينقذ الناس والعباد من الجهالة وحيرة الظلالة ويجعل للناس منهجية من خلالها يعرف الناس طريق الحق وطريق الباطل حتى يميز ما ينفعهم وما يضرهم ومعا ذلك لشديد الأسف لم يلتفت العباد من ذلك الوقت إلى يومنا هذا إلى هذه المعاني وإلا ماذا تفسر قلة الناصرين للإمام "(عليه السلام) "رغم وجود المعصوم أما في عدم وجود شخص المعصوم في وقتنا الحاضر توجد نقاط إيجابية ولكن السلبيات متكثرة وبطيئة المعالجة رغم إن سيد الشهداء ترك لنا بثورته منهجاً يغنيك عن كل شيء إذا أراد الفرد الاستفادة منه.

المبحث الأول

الأبعاد المنهجية في الحياة لسيد الشهداء:

الناس عادة ينتهون عندما يموتون كل أنسان تختتم حياته إذا انتقل من هذه الحياة ولكن بعض الناس يولدون يوم يموتون يولدون يوم يخرجون من هذه الحياة وهذا هو ديدن الحياة إذا رجعنا إلى مصادر العطاء نجد مصادر العطاء تموت يوم تعطي مثلاً نحن نعرف أن الشمعة تولد عندما توقد ويبدأ ضوؤها بالعطاء وأجزاءها تبدأ تتغير تحترق تموت الأجزاء ويولد الضوء فيكون عطاءها يوم موتها نحن نعرف أن البذرة حين نلقيها بالتراب هذه البذرة تموت في داخل التربة وتولد البذرة فلا تعطي إلا يوم موتها نحن نعرف أن البيضة تتلاشى أجزاءها في الداخل لتولد الفرخ فتولد يوم تموت مصادر العطاء هكذا بعض الناس أن أراد أن ينتقل من الحياة تولد حياته وأبو الشهداء ولد يوم قتل كيف فماذا تعني الحياة؟ هل الحياة عبارة عن أيام وليالي يمر بها الأنسان؟ هذه ليست حياة نحن نعرف أن النبات يشاركنا في هذه الظاهرة النبات تمر عليه ليالي يشاركنا في الزمن الحيوان تمر عليه ليالي يشاركنا في الزمن لكن ماهي حياة النبات والحيوان بينما الإنسان هو الذي يعيش إذا أعطا عمره يقاس بعطاء ولا يقاس بأشياء خيالية.

بتعبير آخر قد يجتمع الزمن بأجمعه فيولد بيوم واحد قد تطول الأعمار و لأخير فيها وتقيم الأمجاد يوم تصير في تاريخ الشخصيات يوم يعتبر عمراً كاملاً في تاريخ أهل العطاء في تاريخ عباقرة أهل الدنيا يوم واحد هو الذي يحدد أعمارهم الأيام مهما امتدت إذا كانت خالية من العطاء فلا تحسب بشيء ولكن اليوم الحافل بالعطاء هو العز الواقعي لو رجعنا إلي يوم العاشر من محرم لرأينا العاشر هو عمر الحسين (عليه السلام) العمر الذي تدفق بالعطاء العمر الذي أراد أن يعيش بيننا يوما خالدا هذا الذي أراده الحسين (عليه السلام) أراد من اليوم العاشر أن يعيش يوماً خالداً في هذه الدنيا ولن يموت وهذا ما حدث في هذا اليوم ودعنا نرى هذا اليوم:

في يوم العاشر من محرم الحسين (عليه السلام) وضع له آليات ليخلد سنرى الآليات ماهي؟ ثم بعد الآليات ما هو العطاء المنتظر من يوم العاشر ثم بعد العطاء المنتظر هل يمكننا أن نتفاعل مع المأساة أم لا يمكننا ذلك هذه ثلاث نقاط أو أبعاد لابد من المرور عليها

النقطة الأولى: ماهي الآليات التي وضعها الحسين (عليه السلام) ليوم العاشر حتى يخلد يعني بتعبير آخر إذا أردنا أن نحرك محرك معيناً يجب أن نوفر له الوقود حتى يتحرك ما هذا الوقود الذي وضعه الحسين (عليه السلام) وما المقصود بالواقعة إننا نتصور ما الذي يفعله الحسين حتى يكون خالداً لابد أن يطرح الحسين فكراً ويطرح ظلامة ويطرح دماً هذه ثلاثة أبعاد متصورة تجعل اليوم يخلد:

البعد الأول: الفكر في المسألة الاجتماعية فاجاً الجيش خرج على فرس لرسول الله صلى الله عليه وآلة وسلم أسمها الذنوب شاكا السلاح عليه رداءً للنبي وبين يديه قرآن وقد حمل سيفاً للـرسول أستقبل الجيش وقال لهم: (تبّاً لكم أيّتها الجماعة وترحاً، أحين استصر ختمونا والهِين، فأصرخناكم موجفين، سَللتم علينا سيفاً لنا في أيمانكم، وحششتم علينا ناراً اقتدحناها على عدوّنا وعدوّكم، فأصبحتم إلْباً لأعدائكم على أوليائكم، بغير عدل أفشوه فيكم، ولا أمل أصبح لكم فيهم، فهلاّ لكم الويلات تركتمونا، والسيف مشيم، والجأش طامن، والرأي لما يستحصف، ولكن أسرعتم إليها كطيرة الدَّبا، وتداعيتم إليها كتهافت الفراش، ثمّ نقضتموها، فسُحقاً لكم يا عبيد الأمّة، وشذاذ الأحزاب، ونبذة الكتاب، ومحرّفي الكلم، وعصبة الإثم، ونفثة الشيطان، ومطفئي السنن؛ ويحكم أهؤلاء تعضدون، وعنا تتخاذلون، أجَلْ والله غدرٌ فيكم قديم، وشجت عليه أُصولكم، وتأزرت فروعكم، فكنتم أخبث ثمر شجٍ للناظر، وأكلة للغاصب. ألا وإنّ الدعي بن الدعي . يعني ابن زياد . قدْ ركز بين اثنتين، بين السلة والذلّة، وهيهات منّا الذلّة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، وحُجور طابت وحجور طهرت، وأُنوف حمية، ونفوس أبية، من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام، ألا وإنّي زاحف بهذه الأسرة على قلّة العدد وخذلان الناصر).

قف معي عند هذا المقطع لنعرف ماذا طرح الحسين (عليه السلام) يسأل هؤلاء أنتم أمة تنشد الحياة أم تنشد الموت إذا كنتم تنشدون الحياة ما الذي دفعكم لمؤازرة الأمويين ماذا وفر لكم الأمويين من أسباب الحياة لقد ذبحوا أبنائكم واستحيوا نسائكم ونهبوا أموالكم وزيفوا عقائدكم كل ذلك فعله الأمويين فهل هذه عوامل الحياة لقد انتزعوا منكم الرغيف من أفواهكم وأخذوا منكم عقائدكم وحولوكم إلى عبيد قن أهذا هو الذي يصنع لكم الحياة أمثل هؤلاء يبعثون فيكم الحياة أم يبعثون فيكم الموت ألنا تتخاذلون ولهؤلاء تنصرون لقد جئناكم بالقرآن وهو حياة الأمه جئناكم بالنظام وهو حياة المجتمع وجئناكم بالعقيدة وهي حياة النفوس وجئناكم بالخلق وهو الحياة الذي بدونه لا تستقيم الحياة وجئناكم بنعمة الإسلام على يد آبائنا وأجدادنا لقد غرسنا بذرة الحياة وسفيناها بدمائنا ألم يجالد جدنا رسول الله ((صلى الله عليه وآله وسلم)) من أجل حياتكم ألم يقاتل أبي علي أبن أبي طالب من أجل حياتكم ألم تكفي مواكب شهدائنا لتسقي شجرة الحرية بدمها من أجل ماذا أريق دمع حمزة ومن أجل ماذا أريق دم جعفر ولماذا أريق دماء مواكب الشهداء من بني هاشم أليست لتشقي الغرسة وتثبت تلك الغرسة أعنا تتخاذلون وأعدائنا تنصرون طرح الحسين هذا الفكر ووقف مرة أخرى وقال يا هؤلاء أنسبوني من أنا أنظروا هل يحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي من أجل ماذا تتوارد هذه الجيوش علي وأنا ما جئت إلا لأحمل لكم شريعة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيعيدهم إلى النظام ويعيدهم إلى الالتزام بإحكام القرآن ويعيدهم إلى عدم قتل البريء وعدم تحميله المسؤولية الجنائية من أجل أمر أرادته السماء ووقف مرة ثالثة ليقول لهم أن الدنيا قد أدبرت وتنكرت لمعروفها ولم يبقى منها إلا صبابة كصبابة الإناء ووقف رابعا ليقول (اللهم إني زاحف بهذه الأسرة مع قلة العدد وخذلان الناصر كل هذه المواقف أراد الحسين (عليه السلام) أن يطرحها في الساحة فكرا ذلك الفكر أراد أن يعيد القوم عن الهملجة وراء الأمويين وعن الوثوب على رحل رسول الله كان يريد أن يعيد إلى أذهانهم إن هذا الدم في شرياني في وريدي هو دم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهذا القرآن الذي أحمله لكم هو عقيدة السماء الذي حمله جدي لكم وهذا الموقف لا أقفه من أجل رغبة أو أجل نفع يعود إلي أريد أن أعيد لكم الكرامة التي وطأتها الأرجل أريد أن أعيد

لكم الرغيف الذي انتزعته من أفواهكم بنو أمية أُريد أن أعيد لكم العقيدة التي زيفها لكم الظالمون كل هذا الفكر طرحه الحسين (عليه السلام) يوم الطف حتى لا يبقى شيء تدخل منه الشبهة أو الظلال طرح الحسين (عليه السلام) هذا الفكر ليملأ الساحة.

البعد الثاني: ثم بعد هذا الفكر لا يمكن أن يعيش ويبقى إلا أن يعمد بالدم لقد علمنا تاريخ الإنسانية أن القلم ينتج بجانب السيف بجانب آخر فوقف الحسين (عليه السلام) يحمل السيف وما حمل السيف انتقاما وحاشي له ذلك إنه إين من يقول (لا تجهزوا على جريح ولا تتبعوا مدبراً) وقف وهو يحمل سيفه ولكن يبكي على أعداءه بربك أمثل هذا الرجل يريد سفك الدماء إنما أراد أن يعمد طريق الحرية بالشهادة ولكن الفكر لا بد من دعمها بالشهادة وبدأ يقدم القرابين واحدة تلو الآخر وهكذا بدأ بولد وختم بولد وأنتهى بنفسه والجود بالنفس أقصى غاية الجود.

البعد الثالث: الظلامة قد يكون هناك فكر يدعم دم ولكن لا يحظى بالتعاطف مع الناس فأراد الحسين (عليه السلام) أن يملئ هذا الجانب ملئه بالظلامة ملئه بظلامة نساء تعرضن للسبي وبأطفال تعرضت للذبح وخيامه تعرضت للاحتراق وملئت بظلامة شخص يقول ما جئت لأهرق دمائكم وإنما جئت لأموت من أجلكم لينتزع العطف من تلك النفوس هذا المعنى الذي أخذه غاندي فقال (تعلمت من الحسين (عليه السلام) أن أكون مظلوماً لأنتصر) وأخيراً وظف ابن الأحرار هذه الأبعاد الثلاثة لتعطي، وقد أعطت، فما هو العطاء؟ العطاء هو لينقذ الناس من الجهالة وحيرة الظلالة وينقذهم من الاستعباد والذل والعبودية لغير الله سبحانه وتعالى.

المبحث الثاني

زيارات الإمام الحسين ((عليه السلام)) وأثرها في الحياة:

إن الله سبحانه وتعالى جعل من زيارة سيد الشهداء (عليه السلام) وخاصة زيارة عاشوراء محطاً لإجابة الدعاء وقضاء الحوائج حتى إنها تُسمى في بعض الروايات أكسير الدعوات وفي الروايات العديدة أن الله سبحانه وتعالى يتجلى لزوار قبر سيد الشهداء ويخاطبهم بنفسه ويقضي حوائجهم ويغفر ذنوبهم ويشفع لهم وفي رواية ابن مسكان أن الإمام الصادق (عليه السلام) (إن الله تبارك وتعالى يتجلى لزوار قبر الحسين (عليه السلام) قبل أهل عرفات) فإذن من تجلي لطف الله سبحانه وتعالى يوم عرفة ودعاهم إلى ضيافته وتجلى لهم ذلك اليوم وهذا شرف عظيم وقد قرن الباري هذا التجلي في زيارة عاشوراء فما أعظم ذلك المقام وهنيئاً وهو عارفاً بحقه ومظلوميته والتجلي قسمان:

القسم الأول: تجلي القهر والجبروت وإظهار العظمة والجلالة الإلهية، ومثاله تجلي الله تعالى بالجبل فدكه وخر موسى ((عليه السلام)) صعقا وهذا التجلي لا يتحمله بشر ولا غير بشر.

القسم الثاني: تجلي العطف والرحمة وهو الذي يتحمله العباد لأنه في الأساس رحمة وعطف فإذا كان عطف ورحمة فأكيد تقضى به الحوائج وتشفى به الأمراض فما بالك بالتجلي في زيارة سيد الشهداء ((عليه السلام)) وقضاء الحوائج واستجابة الدعاء أما الذي يحارب الزيارة فعليه نقمة وعذاب (ولا يزيد الظالمين إلا خسارة) وإن الملفت أن الآية فيما مضى فيها كلمة الظالم المشتقة من الظالمين فهو خاسر بظلمه وخاسر بمخالفته للحسين ((عليه السلام)).

دموع الباكين على الحسين ((عليه السلام)) من الواضح إن الدموع التي يذرفها المؤمنون على مصاب سيد الشهداء (عليه السلام) هي الأخرى تعد واحدة من أهم ملامح نهج وسيرة الحسين ((عليه السلام)) في الحياة التي تركها لنا فأننا نستطيع أن نستفيد ونستسقي من تلك الدمعة التي هي جزء من الظلامة التي هي البعد الثالث كما ذكرنا وما لها من أثر وعلو

الدرجات العالية التي يحصل عليها المؤمن وربما تكون شفاء ورحمة لكل مؤمن، وإنها أي الدموع مذكورة في العالم الآخر عكس من يشككون في مقامات سيد الشهداء (عليه السلام) فيبقون في ظلالهم تائهين وفي مصيرهم خاسرين وسر الثواب العظيم الذي يناله الباكي على الحسين (عليه السلام) لأنه بإرادته يستذكر مصائبه ويحظر مجالسه ويستمع إلى الخطيب والناعي ومن يروي له أحداث كربلاء فيبكي عليها وهذا شاهد آخر على عظمة مجالس الحسين (عليه السلام) وأهميتها في الحياة البشرية في الدنيا والآخرة إن بكاء الموجودات على مصيبة الحسين (عليه السلام) هو بكاءً فطري ناشئاً من اختيارها وتفاعلها مع الأحداث وهذا ما يؤكد على إنها مريدة وعاقلة وشاعرة وفي اليوم العاشر تنزل الملائكة وتجمع دموع الباكين عليه من البيوت وفي الخبر عن الإمام الصادق (عليه السلام): (إذا كان يوم العاشر من المحرم تنزل ملائكة من السماء ومع كل ملك منهم قارورة من البلور الأبيض ويبحثون في كل بيت ومجلس يبكون فيه على الحسين فيجمعون دموعهم في تلك القارورة فإذا كان يوم القيامة وتلهب نار جهنم فيضربون من تلك الدموع على النار فتهرب النار على الباكي على الحسين (عليه السلام) مسير الستين ألف فرسخ) والستون ألف فرسخ قد تكون بحساباتنا لتقريب الفكرة وقد تكون حقيقية ولا ندرك معناها الشواهد كثيرة لا يستطيع بحثنا هذا البسيط بأن يلم بكل محتوياتها ولكن نكتفي بهذا القدر إلى أبواب أخرى.

الخاتمة:

لعل الذي يدرك الحياة بكامل مقوماتها ويتابع ما يؤول إليه أمر البشرية من انقضاء الأعمار والأعمال وكل شيء محيط بهذه الحياة يجب أن يدرك إن الحياة التي رسمها الله سبحانه وتعالى مقترنة بأهل بيت العصمة وذلك من خلال النصوص والروايات وفي مقدمتها حديث الكساء الذي في إحدى مقطوعاتها ما خلقت أرض مدحية ولا سماءً مبنية ولا فلكاً يدور ولا شمساً مضيئة بما في مضمونه إلا لأجلكم أصحاب الكساء وقد اختص الله من تلك الذري بخصوصية رسم فيها للبشرية النهج الذي لو سار عليه الإنسان أو المؤمن بولاية علي أبن أبي طالب (عليه السلام) والمؤمن بواقعة الطف لوصل إلى ما أراده الله من النعيم المقيم والدرجات العالية لأننا أكدنا في بحثنا إن منهج الحياة الذي يرتبط بسيد الشهداء (عليه السلام) هو منهج ومنهج خطته الرسالة السماوية بكل جوانبها وإن المتتبع لمسير وحياة سيد الشهداء يعرف هذه الارتباطات الوثيقة التي لا تنتهي باستشهاده وإنما ترك أثر ونهج للعقلاء وأصحاب القيم والأخلاق أن تهتدي وتسير وفق ذلك النهج الذي أراد به أن ينقذ العباد من الجهالة وحيرة الظلالة.

والحمد الله ربِ العالمين

المصادر والمراجع:

١. البحار ج ٩٨ ص ٣٦ باب ٥
٢. تذكرة الشهداء ص ٧٤
٣. ثواب الأعمال ص ١١٦
٤. كامل الزيارات ج١ ص ٣٠٩ باب ٦٨
٥. معالي السبطين ج٣ ص ١٠